

ماريلين مونرو متسولة اغدقت علينا العطاء دياناتريليغ

في صباح يوم احد من آب (أوغسطس) ١٩٦٢ وجدت ماريلين مونرو البالغة من العمر ستة وثلاثين عاما ميتة في فراشها في لوس انجليس ويدها على التلفون ، كما لو انها كانت قد تلقت مخابرة قبل لحظات أو كانت (وهذا هو الأرجح) على وشك ان تخبر احداً . وكان على الطاولة الى جانب فراشها صف طويل من الأدوية ، من بينها زجاجة كانت فيها ٢٥ حبة نمبوتال وجدت فارغة . وبعد اسبوعين قام فريق من الاطباء النفسيين الذين عينتهم الولاية بموجب قوانين كاليفورنيا بوضع تقرير عن ملابس موتها وظروفه ، وقرروا فيه انه كان انتحاراً . ولم يكن قد اشار احد قط من قريب او بعيد الى احتمال كونها قتلت قتلاً : فكان واضحاً انها هي أودت بنفسها ، وان موتها كان ذروة لآلام عقلية استغرقت وقتاً طويلاً ، وسرعان ما تبين انها اتصلت مساء يوم السبت بحلها النفسي الذي كان يعالجها لما تشكوه من أرق وقلق وسويداء طالبة منه ان يسرع اليها ، وانه قام بزيارتها . لكن تقرير الاطباء النفسيين الرسمي كان يتوجب عليه ان يقرر هل كانت جرعة الحبوب الزائدة مقصودة أو عرضية ؟ هل قصدت ماريلين مونرو ان تتخلص من حياتها عندما اخذت حبوب النوم الخمس والعشرين تلك ؟ وكان قرار الخبراء ان ذلك كان عن قصد وتعمد ، وانها قد أرادت ان تموت .

وأعتقد ان هذا القول يحتاج الى شيء من التعديل . لست أزعم بالطبع بأن موت ماريلين مونرو كان عارضاً بمعنى انها جرعت هذه الكمية الكبيرة من الحبوب بدون ادراك

لطبيعتها القاتلة . ولكني أعتقد ان الأصح ان اسمي هذه الميتة طارئة لا متعمدة ، طارئة على الرغبة في التهرب من آلام العيش . لست بطبيبة نفسية ، ولم يحدث لي ان عرفت ماريلين مونرو مطلقاً ، ولكن يبدو لي انه يمكن لانسان ان يبتغي التخلص من الوعي بدون ان يفشد الموت فعلاً ، وانه يمكن لانسان ان يبتغي وضع حد للعيش بدون ان يرغب في الموت . وهذا هو شعوري بخصوص ماريلين مونرو ، انها حتى عندما كانت تتحدث عن « ابتغائها ان تموت » انما قصدت في الواقع انها تبتغي وضع حد لآلامها ، وليس لحياتها . فهي أرادت ان تقضي على الوعي لا على ذاتها . ومن ثم ، بعد ان اخذت الحبوب ، أدركت انها قد لا تعود ابداً من المنام الذي كانت تتشوق اليه بوله ، فمدت يدها الى التلفون طلباً للمساعدة . لكن هذا بالطبع مجرد تخمين ، والبحث فيه أجدد بالأطباء منه بغير الاختصاصيين . اما بالنسبة لنا نحن فان الدوافع المحيطة بانتحار ماريلين مونرو أقل اهمية من الحقيقة الطاغية ، حقيقة الفعل ذاته : ان ماريلين مونرو قد وضعت حداً لحياتها . فيينا كان الأطباء والاختصاصيون يدققون في الفرق بين العارض والانتحار ، ادرك الجمهور ان ما لم يكن بد من حدوثه قد حدث اخيراً : ان ماريلين مونرو قد قتلت نفسها . وأصاب الجميع صدمة ويأس ، لكن لم يدهشهم ابداً انها كانت هي المسؤولة عن موتها ، لأن العالم كان لمدة سنوات خلت مهيباً لمثل هذه النهاية الفاجعة حياة من أبرز الحيوانات في عصرنا .

والواقع ان معظم القصص والايخبار التي راجت خلال السنوات الاخيرة عن ماريلين مونرو كانت تتحدث عن امكانية انتحارها او على الاقل عن خطر انهيارها انهياراً عقلياً بالغا . لا اقصد ان هذه القصص والايخبار كانت تقول صراحة انها ستقضي على حياتها في يوم من الايام او انها ستخطى حدود الوعي والادراك ، لكن كان جميع الذين يكتبون عنها يتعمدون ان يؤكّدوا لنا انها رغم عدم استقرارها ورغم خطورة مشاكلها العاطفية فهي ما تزال مليئة بالحياة ومتشوقة لها : فهي ممثلة جديّة ، طموحة ؛ وهي قد عقدت نيتها على تحسين فنّها ؛ وهي قد فشلت في الزواج مرات عديدة لكنها ما تزال تتشد الكفاية والتحقيق في الحب ؛ وهي قد اسقطت عدة مرات ولكنها كانت لا تزال تتشوق الى انجاب الاطفال ؛ وهي تحت اشراف دقيق من قبل المحللين النفسيين ؛ وقوامها افضل منه في اي وقت مضى ؛ وهي تدرب نفسها على الدقة وضبط المواعيد ؛ وهي تحاول

التغلب على كل ما يضع العثرات امام انجازها فيملها الاخير - على هذه الشاكلة كانت تتوالى جميع القصص والاشبار. بل ان الحديث الاخير الذي ادلت به ونشر في احدى الصحف (عندما نشر فعلا كانت قد اصبحت في عداد الاموات) كان فيه ذات الوتر هذا ، وتر الامل : فقد بدت ماريلين مونرو فيه تفعمها الثقة بان تمثيلها سيتحسن وستجد الأدوار الصالحة لها ، وانها ما بين علاجها - علاج التحليل النفسي وعلاج العمل والجهد - ستصل الى راحة البال التي كانت تفتقر اليها منذ أمد طويل .

وقد أدرك الجمهور انه ما دامت هناك مثل هذه الضرورة البالغة الى التفاؤل فان الوضع ينذر بالخطر الشديد . لكن الغريب هو انه طوال هذه الفترة التي كانت تتزايد فيها مشاكلها التي كان الجمهور مطلعاً عليها تمام الاطلاع ، ظلت الصورة التي يحملها لها هذا الجمهور كما كانت عليه . فمهما كان يقال لنا عن ضعف تمسكها بالحياة ظللنا نفكر بها كتجسيد لطاقت الحياة . وأظن ان رد فعلي لموتها كان كرد فعل الكثيرين : كان كأني منيت شخصياً بفقدان عزيز؛ غير اني شعرت ايضاً كما كنت لأشعر إزاء كارثة في التاريخ ، أو في الطبيعة ؛ فقد غاب عن الحياة شيء ، وقد غاب من الحياة شيء ، لأن ماريلين مونرو لم تعد موجودة . فاذا فقدتها الحياة ، تأذت الحياة .

كانت ماريلين مونرو نجمة معترفاً بها قبل ان اعرفها انا إلا كفتاة تزين صورها غلافات المجلات . فهناك دوماً هذا الدرع ، درع السخرية ، يضعه بعضنا بين انفسنا وبين من يكون محطاً لاجباب الجماهير ، فكنت أتعمد تجاهل أفلامها . لكن حدث ذات مساء ان شاهدت على شاشة التلفزيون جزءاً من فيلمها « موقف الباصات » ، واذا بي اراها . ولست متأكدة اني عرفت من هي هذي التي أراها على الشاشة ، لكن نوراً التمتع في الغرفة : وحيث كان كل شيء قائماً أشرق في الحال ضياء وتألقت كما لو انبثقت عن شيء يتخطى البشري والعادي . كانت لحظة فذة ، لا اذكر اني عرفت مثلها في حال اية ممثلة اخرى ؛ لحظة تتخذ مكانها مع اختبارات فنية نادرة وعزيزة على القلب ، كذكرايات ايام شبابي عن بافلوفا التي وصلت حداً من الكمال لم يصله أي فنان ممثل ، او الاختبار القريب العهد ، اختبار رؤية بعض صور متحركة لنجنسكي . وماريلين مونرو ايضاً كانت تتحرك : وهذه نقطة هامة ، إذ ان الصور الساكنة لم تكن لتستطيع ان تقتنص ما فيها من صفة وطبيعة مكهرية؛ ففي صورها المدروسة كان اول ما يفرض ذاته على المتفرج وفرة الناحية الجسدية فيها ، لكنه لم يكن يرى فيها حيويتها الفريدة او الصفاء الذي

يدمج الروح بالجسد . وهكذا ، في ومضة من الضياء لم تدم سوى لحظة ، سقط عني درع السخرية الذي كنت اقاوم به معبودة الجنس هذه المحببة جداً الى الجماهير ، سقط عني ولم أعد اليه بعدها قط .

هذا ما حدث لي انا ، لكن بقية الناس لم يكونوا مثلي بل كانوا قد وقفوا منذ وقت طويل على ما لماريلين مونرو من موهبة فريدة في كيانها الجسماني واستجابوا لها حسبما تتطلبه موهبة الحياة هذه . فمئذ بداية حياتها الفنية كان الجمهور قد اعترف بعبقرية البيولوجيا ، او الكيمياء ، او ذلك الشيء كأنثاً ما كان ، الذي ميّز هذه المرأة الشابة عن سائر البشر . وإذا أقرّ بسحرها لم يكن اطلاعه على مرضيتها ليؤثر قط على اعتقاده بأنها حية بشكل لا يتسنى لنا نحن ان نعرفه ، او على الأدقّ انه كانت فيها شحنة من الحيوية توصلها لنا فتبدل الحياة كما هي في خيالنا - وهذه بالطبع هي مهمة الفن ومعجزته .

خطر لي في الآونة الاخيرة بعد وفاة ماريلين مونرو انه ربما كان السبب الذي جعلنا بإمكاننا ان نحتفظ بهذين المظهرين لمعرفتنا لها - اي ايجابتها في الحياة واندفاعها نحو الموت - في توازن ، هو انها لم يعرضاً ذاتيها علينا قط بشكل يوحي ان احدهما يحول دون وجود الآخر ، بل على العكس بأنها مظهران مرتبطان وثيق الارتباط بل انها متوقعان في حياة خارقة كحياتها . فكأن العالم الذي أحب ماريلين مونرو ادرك ان فيضها البيولوجي يستثير بحكم الضرورة قيوداً على ذاته ، وان هذه هي الشريعة القاسية التي تقاصص بها الطبيعة (او على الأقل الطبيعة ضمن حدود المدنية) من يتطلبون من الحياة الشيء الكثير او يقدقون على الحياة الشيء الكثير . لقد قيل لنا انه عندما تكون احدى الحواس معطوبة فان الطبيعة تعوض عن ذلك في الغالب باحدى الحواس الاخرى: فالاعى كثيراً ما يكون سمعه أدهف من سمع البصير او تكون حاسة اللمس فيه أدقّ . اما ما لم يُقل لنا ولكننا مع هذا نفهمه فهو طريقة الطبيعة في التعويض السلبي - الثمن الذي ندفعه لقاء المواهب ، والانتقام الذي يبدو ان الحياة تنفذه على الدوام ضد التفوق . ولا شك ان ادراكنا لما في ماريلين مونرو من نواحٍ « زائدة » حُضّرنا لان نتوقع ان تكون فيها نواحٍ « ناقصة » ما . وبدا ان كون هذه المرأة الشابة التي تميزت بمواهب بيولوجية فائقة للعادة تعاني آلاماً عقلية ، بدا انه نوع من التعويض والمعادلة . واعتقد اننا لو لم نكن نعرف عن اسقامها العاطفية فاننا كنا لنهيء انفسنا لمصير مرعب آخر

لها - ككارثة طيران ربما او كمرض مشوه . وهكذا نرى ان الايمان بالخرافات قد يكون فهماً دقيقاً لتنظيم الحياة القاسية .

ومع هذا فمن الصعب ان نفترض ان الآلهة يمكن ان تبلغ بهم الغيرة هذا المبلغ . ألم تقاصص ماريلين مونرو في طفولتها بما فيه الكفاية بحيث لا تحتاج ان تلقى في المستقبل مآسي اخرى ؟ واذ نجحت هذه الفتاة الفقيرة المهملة في التغلب بقوة سحرية على المشاكل المحيطة بها لم يكن من عجب ان يتوقع المؤمنون منا بالخرافات ان تحظى بالسعادة حتى مماتها . فكان من المستحيل ان نفكر بماريلين مونرو إلا كسندريلا . وبدا ان خير تفسير وتبرير لما في كيانها الجسماني من قوة غريبة هو في الظروف القصوى التي احاطت بها في اوائل حياتها - في ولادتها ابنة غير شرعية ، وامها المجنونة ، والميت ، وبيوت التبني الشبيهة بمستشفيات المجانين ، واغتصابها من قبل احد الاوصياء عليها في سن مبكرة . وان كانت حياة ماريلين مونرو خالية من جنية سالحة ومن امير ساحر (إلا ان قامت هوليوود بهذا الدور) فان هذا لم يجرد قصتها من الاعجاز الذي نراه في كتب الخرافات ، انه دمج بالاقصوصة القديمة الخرافة الجديدة التي عندنا عن البطل (او البطلة) الذي يكون ذاته بذاته . ان غريس كيلي كانت لها اسرتها الطيبة فمهدت لها طريقها وجعلت حقها



« قبل وبعد »
لوحة لستانلي فيشر

بالتاج حقاً شرعياً ، اما ماريلين مونرو فانها ملكت بفضل جمالها ليس إلا ، وبفضل اصرارها على ان تتفقت من الظلمة والقذارة وان تشع بنور بهي كامل . وليس بمدعاة للدهشة انه كلما ازداد اشراقها لمعاناً ازداد توقعنا دقة منتصف الليل التي من شأنها ان تضع حداً لمثل هذا السموّ .

لكن ابتعاد ماريلين مونرو هذا الابتعاد الطويل عن طفولتها التعيسة لم يكن وحده الذي رأينا فيه تحدياً للواقع لم يكن بد من ان ينتقم له الواقع . فاذا اعتبرنا موهبتها ليست موهبة مسرحية او سينائية (واعتقد انها لم تكن هذه بصورة رئيسية) بل موهبة بيولوجية ، فانها كانت واحدة من اولئك المفعمين بالقوة ، كانت واحدة من زمرة الفنانين الحقيقيين . كانت مواهبها بعيدة عن نطاق العادي والمألوف ، فلم يكن لنا مناص من ان نشعر بأن المجتمع كما نعرفه لن يستوعبها - ولهذا فانها كانت تحمل فناءها بين طياتها . وكانت قوة ماريلين مونرو البيولوجية ، ككل موهبة فنية عظيمة ، قوة متفجرة وبدائية ومتوحشة . من اجل هذا كانت خطراً عليها هي وعلى العالم ايضاً الذي فعلت فعلها فيه . ان الفن كله شرس ، بمقدار اهميته ؛ وهو في شرسته يختار إما التمرد على المجتمع او على القيود التي تحد منه او على الفنان نفسه . ولا شك ان عجز معظم افراد البشر عن تحمل هذا الضغط الشديد وقتاً طويلاً هو الذي يفسر كون الفنان امرأ شاذاً في اية مجموعة متحضرة من البشر . فالوصول الى حل وسط بين الثورة على الذات والثورة على المجتمع ، وخوض المعركة والخروج منها سالماً ، هو مهمة جبارة ليست الموهبة فيها إلا عاملاً صغيراً .

من بين الاسلحة البالغة القلة المتوفرة للفنان في هذا الجهاد المرعب ، ليس سلاح اكثر نفعاً من السذاجة . لكن الانطباع الذي لي عن ماريلين مونرو لم يكن ابداً انها امرأة ساذجة . اني اعتقد انها كانت ذات براءة ، والبراءة غير السذاجة . فان يكون المرء ساذجاً يعني ان يكون بسيطاً او غيبياً في امور الاختبارات والتجارب ، وماريلين مونرو كانت بعيدة عن الغباوة : فليس بمقدور من تكون غيبية ان توجه لفتاتها البارعة ضد ذاتها او ان تتمكن من الاجابة على الاسئلة المخرجة التي كانت تُسألها بالشكل الذي كانت تجيب عليها به . اما ان يكون المرء بريئاً فيعني ان يعاني التجربة بدون ان يقدر ان يتعلم منها حماية ذاته ، كما لو كانت البراءة تحت رحمة التجربة وغير قادرة على تعبئة قوى مضادة للقدر .

واشعر نحو ايرنست همنغوي كما اشعر نحو ماريلين مونرو ، انه كان عاجزاً عن اقامة حصون دفاع كافية ضد احداث طفولته المؤلمة ، على الرغم مما اشتهر به من خشونة وعلى الرغم من بسالته في الحرب والصيد والمغامرات الخطرة التي كانت تستهويه . كان رجلاً بريئاً لا رجلاً ساذجاً ، ولو انه لم يكن دائماً ذكياً . وفي ماريلين مونرو تعترضنا مفارقة ماثلة : فانها حتى عندما كانت رمزاً للتجارب القصوى ، للمعرفة الجنسية ، كانت تجيء كلّ ظرف من ظروف حياتها (سواء انشدها هذا الظرف ام نشدته هي) كما يجيئه طفل وليد . ومع ذلك فقد كان هذا مبعث الاشراق فيها - براءتها . واشراقها لم تغيبه اختباراتنا لبشاعة الحياة وقبحها ، لانه في الحكم الاخير وفي عمق اعماقها لم تؤثر بها هذه الاختبارات من قريب او بعيد .

يرى الاطباء النفسيون ان البراءة المفرطة ، ان الفجوة الكبيرة بين ما حدث لشخص وما استوعبه من تجربته ، هي عارض ينذر بالخطر - فقد تدل على انقطاع في علاقته بنفسه . ولا شك ان البراءة المفرطة في حقول الخلق تستهويننا الى حد كبير ، فهي تبعث نقاوة في التعبير تحملنا على ان نقول عن صنيع فني ما انه « من خارج هذا العالم » . الا ان ما يشكل فن شخص ما قد يؤدي بالتالي الى هلاكه العاطفي .

ويخيل لي ان الاطباء والمحللين النفسيين كانوا يجدون صعوبة في معالجة ماريلين مونرو ، وانها كانت من وجهة عاطفية اشبه بالنسبة لهم بصفحة بيضاء لم يخط عليها شيء ، وانها كانت لا تقدر ان تقيم صلة بين ذاتها وبينهم رغم انها كانت تتمنى اقامة تلك الصلة . لكن انعدام الصلة هذا كان في صلب موهبتها ، وكان يحدد سحرها في اعين البشر ، كما كان انعدام الصلة بين همنغوي وتجاربه ذا اثر فعال في مواهبه .

لقد حاول عشرات من المؤلفين مدى سنوات طويلة ان يحاكوا اسلوب همنغوي ، ان يحاكوا ما في نثره من مرونة ونقاوة ، وان يحاكوا البعد الذي كان يوسع ان يضعه بين نفسه وبين الشيء الذي يتحدث عنه . لكن احداً منهم لم ينجح في ذلك . واعتقد ان السبب في هذا هو ان نثره كان لحد ما انعكاساً عن البعد بين الواقع الخارجي وبين عواطفه - هذا البعد الذي لم يكن القضاء عليه ممكناً . وبالشكل ذاته كانت ماريلين مونرو عصية على المحاكاة . ان هوليوود ومسارح برودوي والكباريات تمدنا بانتظام واستمرار بعدد من ملكات الجنس ، لكن الجمهور يقبلهن ثم ينبذهن ، او انه لا يقبلهن فعلاً ؛ ان العالم لم تستعبده اية من هؤلاء كما استعبده ماريلين مونرو ، لانه ليس بينهن من

تستطيع ، كما كانت تستطيع ماريلين مونرو ، ان توحى بما توحى هي به من نقاوة في البهجة الجنسية . ان الجزأة التي كان يوسعها ان تعرض ذاتها بها دون ان تؤدي قط الى الابتذال ، والزهو والاستخفاف الجنسيين اللذين كانا مع هذا يبعثان جوا من الغموض والكتمان ، وصوتها الذي كان يحمل نبرات ناضجة من الاثارة الجسدية وكان مع ذلك صوت طفلة حيية - كل هذه كانت جزءاً اساسياً من موهبتها .

ما اقصده قوله هنا هو ان مارلين مونرو كرمز للجنس كان فيها بالطبع شيء كثير من الزيف . فالرجال القليلون الذين عرفهم والذين قابلوها في حياتها الواقعية اجمعوا على انه كان ينقصها الوقع الجنسي المباشر : صحيح انها كانت حلوة وجميلة وظريفة ، لكنها لم تكن ابداً المرأة المثيرة التي توقعوها ان تكون . يصعب جداً ان نحدد طبيعة الجاذبية الجنسية الحققة ، فجانب كبير مما نجده مؤثراً جنسياً ينبع من الاوهام التي لا علاقة بينها وبين الغريزة الجنسية الأساسية . وفي حال الممثلة السينائية ، اكثر منه في حال سواها ، ندخل ارجاء يختلط فيها الحلم بالبيولوجيا بدون عناء .

كانت ماريلين مونرو تتحدث الى احلامنا لذات الحد الذي كانت تتحدث فيه الى طبيعتنا الحيوانية ، لكن بطريقة خارقة للغاية - لانها كانت تستهوي عزمنا على التحرر من الوهم وعلى التمسك بالواقع . وكانت ترضي رغبتنا بمواجهة شواتنا الجسدية بدون ما يسربلها من رومانسية ومن ملابسات . واذ عملت ضمن نطاق حضارة كحضارتنا ، الجنس فيها محاط بالقيود والخاوف والنواهي ، فانها اقتربت الى الحد الأقصى من اعطائنا الجنس ذاته . لكنها لم تعطنا الجنس ذاته : انما مثلت انها تعطينا اياه . وقد اضفت جواً من الفتنة على الجنس الى حد جعله يفقد ما كان يلبسه من فزع ، وربما كان هذا الحجاب الذي اقامته امام الواقع الجنسي الذي جعل النساء كالرجال يستجبن لها استجابة كبيرة . واعتقد ان النساء ادركن بحكم الغريزة ان هذه المرأة التي تبدو اشد المخلوقات جنسية لم تكن لتهدهن في شيء .

وهكذا فقد كانت اسطورة ماريلين مونرو اسطورة بالفعل اكثر مما دار بخلدنا ، فان هذه الفتاة التي كان يفترض ان تحررنا من احلامنا وتؤول بنا الى الواقع الجنسي كانت لحد كبير غير واقعية بالنسبة حتى لنفسها . ولم يكن ممكناً ان تكون واقعية لنفسها من

الناحية الجنسية وفي الوقت ذاته ممثلة علنية مدهشة للجنس وفنانة واعية فيه . ورأيت ان ابتعادها السحيق هذا عن مشاعرها هي ، بما فيها مشاعرها الجنسية ، هو الذي مكنها من الاحتفاظ بفوضى سنواتها الأولى الوقت الطويل التي احتفظت به ، ومن التحدث عن طفولتها الفظيعة بمثل تلك البساطة والعلن . اننا نجيب عن الآخرين اصغر « شائنة » في ماضينا ، خشية ان تؤدي معرفة الغير لها الى تبديل نظرنا لأنفسنا . غير ان ماريلين مونرو لم تكن بحاجة الى مثل هذا التحفظ . فقد افشت علناً بافطع الحقائق عن تاريخها الشخصي ، افشت بها للعالم بأسره كما لو اننا نحن الذين لا علاقة لنا بها جديرون بالاطلاع على اسرارها - لكننا استجبنا استجابة كريمة غريبة لبراءتها ، ولم نستغل اطلاعنا على اسرارها كما كان يمكن ان نفعل . واذا نظرنا الى الامر من وجهة ما تتطلبه من الفنان ، اي ان تكون له الارادة والجرأة في ان يرفع على التقاليد التي تقيدنا نحن الذين ليست لنا ماله هو من مواهب ، فان صراحة ماريلين مونرو بخصوص حياتها المبكرة شيء جدير بالتقدير والتبجيل . الا ان صراحتها هذه ، من وجهة نظر اخرى ، كانت انذاراً بان السدود الطبيعية ، سدود وقاية الذات ، كانت مهدودة او معدومة ، بحيث تركتها معرضة لخطر رياح الظروف المختلفة .

والواقع ان كلمة « معرضة » كلمة اساسية في سياق حياتها . فقد كانت ممثلة ، تعرض شخصها وشخصيتها على نظر الجمهور . وكانت كائناً بشرياً معرضاً ، تذكر الحقيقة عن نفسها علناً وبكل استعداد . وكانت اكثر من غالبية الممثلات تعرض جسدها ، ولم تكن تدرك ادراكاً تاماً ما يحيط بذلك من ملابس . فنحن نذكر مثلاً الفضيحة الصغيرة المخرجة التي نجمت عن كونها جلست مرة عارية لتلتقط صورتها وتنتشر على غلاف روزنامة ، والدهشة والبراءة اللتين ابدتها وعدم فهمها سر استياء الستوديو الذي كانت تعمل له ، كأنها كانت تريد ان تقول : « لكن تلك هي انا بالامس عندما كنت بحاجة للمال . لكنها ليست انا اليوم ، فانا اليوم املك مالا » . وكما كان الامس واليوم فاقدتي الاتصال واحدهما بالآخر ، كانت هي فاقدة الاتصال بذاتها ، ولعله لا يربطها معاً الانجاحها ، ولوقت محدود .

وكان هذا النجاح وثيق الاتصال بادراكها ووعياها لجاذبيتها الجسدية . ولعل كونها محط انظار الجماهير الى ذلك الحد الكبير وهدف اعجابها البالغ كان هو الذي اعطاها الجزء الاوفى من احساسها بكيان وهوية شخصية لها . ونحن نعرف الآن انها قبل وفاتها بزمن غير طويل طلبت بان تصور عارية ، وعملت بعناية على الانتقاء والحذف في هذه

الصور الكثيرة ، كما لو انها كانت تريد التأكد من انها ستخلف للمستقبل خير سجل ممكن لها . غير ان هذه الصور انما تترك سجل جمال مبذر ، او على الاقل فيما يتعلق بجسدها الشهير - فبينما يبدو فيها وجهها جميلا كما كان ابدا ، ولم تترك فيه آلامها البالغة اية ندوب ، فان جسدها يبدو فيها سقيما وتالفا وقد استنزفت منه الحياة . وقد نشرت هذه الصور مؤخرا في احدى المجلات الغالية الثمن المكرسة لامور الحب والشبق . واذا كان سعرها العالي ، الذي يجعل من المتعذر شرائها على القارئ العادي ، يمكن تفسيره على انه احتياط ضد سهولة الحصول عليها من قبل من لاينشدون سوى الاثارة ، فان هذا التحسب لم يكن في الواقع ضروريا : ذلك لان ماريلين مونرو العارية لم تكن لتثير في اي متفرج طبيعي اي شيء سوى الشفقة الرقيقة وشيء من الرعب .

لكن نجاحها كان مهدداً حتى قبل هذه اللحظة القصوى . فحياتها الفنية العظيمة كانت قد بدأت بالانهيار . ولم تكن قد مثلت فيلما ما منذ امد طويل ، والفيلم الاخير الذي عملت فيه كان يتأجل مرة بعد مرة لانها لم تكن تقوى على الحضور للاشتراك فيه . ولم تكن لها حياة خاصة تلجأ اليها ، بل لم تكن لها شكلية مثل هذه الحياة : فلا زواج ، ولا عائلة ، و (كما يبدو) ولا حتى اصدقاء . وقد اعتدنا ان ننظر اليها كأنها اشد الناس وحدة ووحشة ، فكان مدعاة لشيء من المرارة ان نكتشف لدى موتها اننا لم تكن تحبنا وحدثنا رغبة في مساعدتها بل كان يشار كنا في ذلك غرباء كثيرون آخرون ، وبصورة خاصة من النساء اللواتي كان تعرضها الشديد للعطب يستدر عواطف الوقاية والحماية فيهن . لكننا كنا اصدقاءها الذين لم نعرف عنهم شيئا ، ويبدو انه لم يكن مجال بين الناس الذين عرفتهم لاية صلة حقيقية عبر الفراغ الصحراوي الذي يعزل كل من يفقد الصلة بمشاعره . وتحطرببالنا في تلك العشية الاخيرة من حياتها ، وحيدة ذاهلة ، تفتش عن السلوى الانسانية تفتيشا ، فلا تجد الا ذلك الصف الذي لاينتهي من زجاجات الادوية ، واذا نحن امام شجن ابلغ من المأساة .

ولا شك انه ليس من العدالة في شيء ويصعب على الخيال تصديقه ان تكون اكثر نساء العالم فتنة قد قضت عشية سبت لوحدها بدون رفيق - فقد كانت عشية يوم سبت عندما اودت بحياتها . في اية ليلة عدا ليلة السبت ، يسمح لنا بان نصرف الليلة وحدنا ، اما ليلة السبت فهي الليلة التي على جميع الفتيان والفتيات في امريكا ان «يثبتوا» ذاتهم

جنسياً فيها . هي الليلة التي يجب ان نخرج فيها من بيوتنا ، ونرتاد الاماكن فيرانا الناس فيها بين المصطفين جنسياً . الا ان الفتاة الامريكية التي كانت تمثل النجاح الجنسي وترمز اليه بالنسبة لنا جميعاً صرفت آخر ليلة سبت في حياتها وحيدة بائسة . ان كل رجل في البلاد لكان يتمنى ان يكون رفيق ماريلين مونرو (او هكذا كان يدعي) ، لكن لم يرافقها من معارفها احد .

او يخطر ببالنا ماتمها (ونحن نتأمل في الوحدة التي كانت تعانيتها) ، ماتمها الذي تُعمد فيه ان يمنحها الهدوء والخلوة اللذين كانت تحتاج اليها طوال حياتها، لكنه لقله عدد من حضوره ذكرنا بمحدودية علاقتها الواقعية بالعالم . كان جو ديميجيو ، زوجها لاشهر قليلة في اوائل عهدها الفني ، على رأس المشيعين . وديميجيو هذا هو الذي (كما قالت لنا) كان يستحيل اتحاذه زوجاً لانه لم يكن يتحدث : فعند وجبات الطعام كان بدلا من ان يتحدث اليها يقرأ الجرائد او يتفرج على التلفزيون . اما زوجها الاخير ، الذي كان يتحدث ، فلم يحضر المأتم - ولا شك ان لديه اسباباً تبرر تغيبه ، لكن تغيبه كان محزناً . ولست ادري هل تلوا قراءات ما في خدمة الدفن ، او ان فعلوا فلا اعرف ما هي . لكن يطيب لي ان افكر انها كان قراءات ادبية سامية ، كالتي تتلى في مأتم امرىء مبرز فائق التبريز من الناحية الفكرية .

ذلك انه من بين سائر الوان القسوة التي سامها لهذه المرأة الشابة حتى الجمهور الذي احبها ، يبدو لي ان القسوة الاشد والتي لا تجدر بن يفترض فيهم التمدن ، هي السخرية من رغبتها في ان تتشف او في ان يظنها الناس مثقفة . صحيح ان لنا الحق في ان يعترينا شيء من الحيرة عندما تدعي معبودتنا الجنسية انها تحب دستوفسكي ، ولكن لا شك في ان باعث انزعاجنا يقبع في شكوكنا بقيمة دستوفسكي لنا اكثر مما يقبع في ماريلين مونرو . فمغزى سخرتنا هو التشكيك بحاجة من يملك مقداراً كافياً من الجنس الى ان يقرأ دستوفسكي . والفكرة ان امرأة كاريلين مونرو لها ما لها من مواهب جنسية كانت تبغني اي شيء غير القيام بنشاطات الحب والجنس سلب منا وهماً محبباً لنا ، هو ان الجنس هو كل شيء .

واشك ان الجنس كان يعني كثيراً لماريلين مونرو ، عدا كونه وسيلة لاعلاء شأنها في الحياة . وكان احد الاسرار المؤثرة التي باحت بها عن اوائل حياتها وصفها لكيف اكتشفت انها بشكل من الاشكال تختلف جنسياً عن سواها من الفتيات في عمرها ؛ فقد

كان الفتيان يصفرون لها ويتجمهرون حولها كما تتجمهر الدببة على العسل ، وهكذا ادركت ان فيها ولاشك شيئاً خاصاً بها لا سواها، شيئاً تستطيع ان تستثمره كي ترتفع على ظروفها البائسة . اي ان وعيها الجنسي جاءها من خارج ذاتها . ورأى الشخصى انه ظل خارج ذاتها على الدوام ، تاركاً فيها فراغاً كبيراً ، في حين انها لو كانت لها نزعة جنسية حقيقية لكانت امدتها باحساس بذاتها كأنسان له صلات وفيه محتوى .

هذا الفراغ حالت ان تملأه بكل ما تيسر لها من سبل ، بمتاع الدنيا وبالشهرة وباهتمام الجمهور وبالزواج ، وايضاً بسبل لم تيسر لها كالأطفال والحياة البيئية . وحاولت كذلك الحال ان تملأ فراغها بالكتب والتقف . فما احقرنا اذ حرمانها من اي شيء كان يمكن ان يزيد في ثقته بانها انسان بحق وحقيق وليست مجرد جسد غير مأهول .

اما انها كانت تتحلى بمقدرة ذهنية على التعلم فما لا شك فيه مطلقاً ، ولم يكن ينقصها غير ان تُفرد بمقدرة عاطفية . فلو لم تكن على قسط كبير من الذكاء الحاد لما استطاعت ان تسخر من ذاتها بكياسة كما كانت تفعل او ان ترد على اسئلة الصحفيين بما كانت ترد به من دهاء وحسن تخلص . واذا حكنا عليها من المقابلات في الصحف وسواها ، وجدناها خلواً مما يتسم به المثلون والمثلات في حياتهم الواقعية من رثابة وبلادة ، ومما يتسمون به من تأدب ومجاملة ليس الا دليلاً على حبهم لانفسهم ؛ ووجدنا انها منزهة عن عادات افراد مهنتها - فلا نذكر انها ابدت مرة واحدة حداً لزملائها او نقداً لسواها من مخرجين ومؤلفين وازواج لتقصيراتها هي . والواقع ان ما كان في روحها من اريحية كان جزءاً من الاشراق الذي لازمها . لكن هذه الأريحية التي وجهتها الى سواها لم توجهها الى ذاتها ، فقد كانت قاسية على ذاتها ، وكانت تسخر من نفسها ومن كل ما عندها مما يمكنها من المضي في الحياة : مواهبها البيولوجية . ولا شك ان هذا زاد في تحببها اليها ، لكنه ازاح من تحتها البقعة الصغيرة التي كان بوسعها ان تسميها ملكاً لها . وعندما كانت تعرض وفرتها الجنسية بذلك الشكل المبالغ المدهش المرح ، او كانت تنظر وعيناها مفتوحتان على وسعها الى ماسببته من دمار ، كانت كأنما تقول بطريقتها الخاصة : « لا تخافوا ، انا لا احمل نفسي حمل الجد ، فلا حاجة لكم بان تحملوني حمل الجد » . اي ان موهبتها الهزلية كانت خيراً على جمهورها لكنها كانت وبالا عليها هي ، اذ انها كانت تحتاج اكثر من سواها من الناس الى اليقين بان لها قيمتها في ميزان الحياة البشرية ، وبان لها كيانها وواقعها ، وبان لها جميع المؤهلات لجعلها انساناً نستطيع اخذها جدياً . كانت تنشد السلوى ، ووهبتنا السلوى . كانت متسولة ، واغدقت علينا العطايا .